من صفحة 126:158

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر هلاك أبى داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار

وفي هذه السنة هلك أبو داود خالد بن ابراهيم الذهلي عامل خراسان ، وكان سبب هلاكه ان ناساً من الجند ثاروا به - وهو بكشماهن - ووصلوا إلى المنزل الذي هو فيه فاشرف عليهم من الحائط ليلاً فوطىء حرف آجرة خارجة وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته فانكسرت الآجرة تحته عند الصبح فسقط على الأرض فانكسر ظهره فمات عند صلاة العصر . فقام عصام صاحب شرطته بعد. حتى تدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي عاملًا على خراسان . فلما قدمها أخذ جماعة من القواد اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب ، منهم مجاشع بن حريث الأنصاري عامل بخارى ، وأبو المغيرة خالد بن كنير ، مولى بني تميم عامل قوهستان ، والحريش بن محمد الذهلي وهو ابن عم أبي داود فقتلهم وحبس جماعة غيرهم وألح على عمال أبي داود في استخراج ما عندهم من الأموال .

ذكر قتل يوسف الفهري

في هذه السنة نكث يوسف الفهري الذَي كان أمير الأندلس عهد عبد الرحمن الأموي ، وكان سبب ذلك أن عبد الرحمن كان يضع عليه من يهينه وينازعه في أملاكه فاذا أظهر حجة الشريعة لا يعمل بها ، ففطن لما يزاد منه فقصد ماردة واجتمع عليه عشرون ألفاً فسار نحو عبد الرحمن ، وخرج عبد الرحمن من قرطبة نحوه الى حصن المدور ، ثم ان يوسف رأى أن يسير إلى عبد الملك بن عمر بن مروان وكان والياً على اشبيلية ، وإلى ابنه عمر بن عبد الملك وكان على المدور فسار نحوهما وخرجا اليه فلقياه فاقتتلا قتالاً شديداً فصبر الفريقان وانهزم أصحاب يوسف وقتل منهم خلق كثير ،

وهرب يوسف وبقي متردداً في البلاد فقتله بعض أصحابه في رجب من سنة اثنتين وأربعين بنواحي طليطلة وحمل رأسه إلى عبد الرحمن فنصبه بقرطبة ؛ وقتل ابنه عبد الرحمن بن يوسف الذي كان عنده رهينة ونصب رأسه مع رأس أبيه ، وبقي أبو الأسود ابن يوسف عند عبد الرحمن الأموي رهينة وسيأتي ذكره وأما العميل فانه لما فر يوسف من قرطبة لم يهرب معه فدعاه الأمير عبد الرحمن وسأله عنه فقال : لم يعلمني بأمره ولا أعرف خبره فقال لا بد أن تخبر فقال : لو كان تحت تدمي ما رفعتهما عنه فسجنه مع ابني يوسف. فلما هربا من السجن أنف من الهرب والفرار فبقي ني السجن . ثم أدخل إليه بعد ذلك مشيخة مضر فوجدوه ميتاً وعنده كاس ونمَل فقالوا : يا أبا جوشن قد علمنا انك ما شربت ولكن سقيت ودفع إلى أهله فدفنوه .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة هلك اذفنش ملك جليقية وملك بعده ابنه تدويلية-وكان أشجع من ابيه وأحسن سياسة للملك وضبطا له -وكان ملك أبيه ثماني عشرة سنة ، ولما ملك ابنه قوي أمره وعظم سلطانه وأخرج المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينِة لك ، وبرطقال ، وشلمنقة ، وشمورة ، وايلة ، وشقوبية ، وفشتيالة ، وكل هذه من الاندلس .

وفيها سير المنصور عبد الوهاب بن أخيه ابراهيم الامام ، والحسن بن قحطبة في سبعين ألفاً من المقاتلة إلى ملطية فنزلوا عليها وعقَروا ما كان خربه الروم منها ففرغوا من العمارة في ستة أشهر وكان للحسن في ذلك أثر عظيم ، وأسكنها المنصور أربعة آلاف من الجند وأكثر فيها من السلاح ، والذخائر وبنى حصن قلوذية ، ولما سمع ملك الروم بمسير عبد الوهاب ، والحسن إلى ملطية سار إليهم في مائة ألف مقاتل فنزل جيحان فبلغه كثرة المسلمين فعاد عنهم ، ولما عمرت ملطية عاد إليها من كان باقياً من أهلها ، وفيها حج المنصور فأحرم من الحيرة فلما قضى حجه توجه إلى بيت المقدس وسار منه إلى الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامري وعاد إلى هاشمية الكوفة.

وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبرائيل بن يحص وكان جمبهلأ، سورها قد تشعث من الزلازل وأهلها قليل فبنى السور وسماها المعمورة وبنى بها مسجداً جامعاً وفرض فيها لألف رجل وأسكنها كثيراً من أهلها ، وفيها توفي سعد بن

إسحاق بن كعب بن عجرة ، وعمرو بن يحيى بن أبي حمسن الأنصاري ، وعمارة بز غزية الأنصاري - وكان ثقة - وأبو العلاء أيوب القصاب ، وأبو جعفر محمد بن عبدالله الأسكافي - وهو من متكلمي المعتزلة وأئمتهم وله طائفة تنسب إليه - وأسماء بن عبيد بن مخارق والد حويزة بن أسماء .

ثم دخلت سنة احدى
وأر بعين ومائة
ذكر خروج الراوندية

وفي هذه السنة كان خروج الراوندية على المنصور ، وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الأرواح ؛ يزعمون أن روح آدم فى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثمّ ابن معاوية، فلما ظهروا لمتوا قصر المنصور فقالوا : هذا قصر ربنا ، فأخذ المنصور رؤساهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوا السرير وليس في النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجلِ فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياَ ولم يكن في القصر دابة – فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط دابة معه فى القصر- فلما خرج المنصور أتي بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا عليه حتى كادوا يقّتلونه .

وجاء معن بن زائدة الشيباني وكان مستتراً من المنصور بقتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه والمنصور شديد الطلب له وقد بذل فيه مالاً كثيراً فلما كان هذا اليوم حضر عند المنصور متلثماً وترجل وقاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاء حسناً ، وكان المنصور راكباً على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه فأتى معن وقال : تنح فأنا أحق بهذا اللجام منك في هذا الوقت وأعظم غناء ، فقال المنصور : صدق فادفعه إليه فلم يزل يقاتل حتى تكشفت الحال وظفر بالراوندية ، فقال له المنصور : من أنت ؟ قال : طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال : آمنك الله على نفسك ، ومالك ، وأهلك مثلك يصطنع ، وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب المنصور قال : أنا اليوم

بواب ، ونودي في أهل السوق فرموهم وقاتلوهم ، وفتح باب المدينة فدخل الناس ، فجاء خازم بن خزيمة فحمل عليهم حتى ألجأهم إلى الحائط ثم حملوا عليه فكشفوه مرتين فقال خازم للهيثم بن شعبة ، اذا كروا علينا فاستبقهم إلى الحائط ، فإذا رجعوا فاقتلهم ، فحملوا على خازم فاطرد لهم وصار الهيثم من ورائهم فقتلوا جميعاً ، وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم فرموه بسهم عند رجوعه فوقع بين كتفيه فمرض أياماً ومات منها فصلى عليه المنصور ، وجعل على حرسه بعده عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات ، فجعل على الحرس أبو العباس الطوسي وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية بالكوفة فلما صلى المنصور الظهر دعا بالعشاء وأحضر معناً ورفع منزلته وقال لعمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس : يا أبا العباس أسمعت بأشد رجل ، قال : نعم. قال : لو رأيت اليوم معناً لعلمت أنه منهم فقال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإني لوجل القلب فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم رأيت ما لم أره من خلق في حرب فشد ذلك من قلبي وحملني ما رأيت مني .

وقيل : كان معن متخفياً من المنصور لما كان منه من قتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه ، وكان اختفاؤه عند أبي الخصيب حاجب المنصور- وكان على أن يطلب له الامان - فلما خرجت الراوندية جاء معن فوقف بالباب فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب فقال : معن بن زائدة فقال المنصور : رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب أدخله ، فلما دخل قال : إيه يا معن ما الرأي ؟ قال : الرأي أن تنادي في الناس فتأمر لهم بالاموال فقال : وأين الناس والأموال ؟ ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهولاء العلوج ؟ لم تصنع شيئاً يا معن ، الرأي أن أخرج فأقف للناس فإذا رأوني قاتلوا وتراجعوا إلي وإن أقمت تهاونوا وتخاذلوا فأخذ معن بيده وقال لا يا أمير المؤمنين إذاً والله تقتل الساعة فأنشدك الله في نفسك فقال له أبو الخصيب مثلها ، فجذب ثوبه منهما وركب دابته وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه ، وأتاه رجل فقتله معن حتى قتل أربعة في تلك الحالة حتى اجتمع إليه الناس فلم يكن إلا ساعة حتى أفنوهم ، ثم لَغيب معن فسأل المنصور عنه أبا الخصيب فقال لا أعلم مكانه ، فقال المنصور : أيظن معن أن لا أغفر ذنبه بعد بلائه أعطه الأمان وأدخله علي فأدخله إليه فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم ولا. اليمن .

في هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن عامل خراسان للمنصور ، وسبب ذلك أن عبد الجبار لما استعمله المنصور على خراسان عمد إلى القواد فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، فبلغ ذلك المنصور وأتاه من بعضهم كتاب قد نَغِل الأديم (ا)، فقال لأبي أيوب : إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا وما فعل ذلك إلا وهو يريد أن يخلع ، فقال له : اكتب إليه أنك تريد غزو الروم فليوجه إليك الجنود من خراسان وعليهم فرسانهم ووجوههم فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فلا تمنع ، فكتب المنصور إليه بذلك ، وأجابه أن الترك قد جاشت وإن فرقت الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده اكتب إليه أن خراسان أهم إلى من غيرها وأنا موجه إليك الجنود من قبلي ثم وجه إليه الجنود ليكونوا بخراسان فان هم بخلع أخذوا بعنقه ، فلما ورد الكتاب بهذا على عبد الجبار أجابه ان خراسان لم تكن قط أسوأ حالاً منها في هذا العام وإن دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء ، فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب فقال له أبو أيوب : قد أبدى صفحته وقد خلع فلا تناظره ، ووجه المنصور ابنه المهدي وأمره بنزول الري ، فسار إليها المهدي ووجه خازم بن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار وسار المهدي فنزل نيسابور فلما بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا إلى عبد الجبار وحاربوه وقاتلوه قتالاً شديداً فانهزم منهم ولجأ إلى معطنة(2) فتوارى فيها فعبر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيراً ، فلما قدم خازم أتاه به فالبسه جبة صوف وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلي عجز البعير وحمله إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه فبسط عليهم العذاب حتى استخرج منهم الأموال ، ثم أمر فقطعت يدا عبد الجبار ورجلاه وضرب عنقه ، وأمر بتسيير ولده الى دهلك – وير جزيرة باليمن – فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا ثم فودوا بعد ذلك ، وكان ممن نجا منهم عبد الرحمن بن عبد الجبار صحب الخلفاء ومات أيام الرشيد سنة سبعين ومائة ، وقيل : وكان أمر عبد الجبار سنة اثنتين وأربعين في ربيع الأول ، وقيل : سنة أربعين .

(ا) نغل - بفتح النون وكسر الغين المعجمة - فسد .

(2) في الطبري " مقطنة " .

ذكر فتح طبرستان

ولما ظفر المهدي بعبد الجبار بغير تعب ولا مباشرة قتال كره المنصور أن تبطل تلك النفقات التي أنفق على المهدي فكتب إليه أن يغزو طبرستان وينزل الري ويوجه أبا الخطب ، وخازم بن خزيمة ، والجنود إلى الأصبهبذ ، وكان الاصبهبذ يومئذ محارباً للمصمغان ملك دنباوند معسكراً بازائه ، فلما بلغه دخول الجنود بلاده ودخول أبي الخصيب سايره فقال المصمغان للاصبهبذ : متى قهروك صاروا إلي فاجتمعوا على حرب المسلمين ، فانصرف الاصبهبذ إلى بلاده فحارب المسلمين فطالت تلك الحروب ، فوجه المنصور عمر بن العلاء إلى طبرستان وهو الذي يقول فيه بشار :

#إذا أَيْقَظَتْكَ حُروبُ العِدَى فَنَنَهْ لها عُمَرا ثم نَمْ (1)

وكان عالماً ببلاد طبرستان فأخذ الجنود وقصد الرويان وفتحها وأخذ قلعة الطلق وما فيها ، وطالت الحرب فألح خازم على القتال ففتح طبرستان وقتل منهم فأكثر ، وسار الاصبهبذ إلى قلعته فطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من الذخائر، وكتب المهدي بذلك إلى المنصور ، فوجه المنصور صالحاً صاحب المصلى فاحصوا ما في الحصن وانصرفوا ، ودخل الاصبهبذ بلاد جيلان من الديلم فمات بها وأخذت اشته وهي أم ابراهيم بن العباس بن محمد ؛ وقصدت الجنود بلد المصمغان فظفروا به وبالبحترية أم منصور بن المهدي .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة عزل زياد بن عبيد الله الحرثي عن مكة ، والمدينة ، والطائف ؛ واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري في رجب ، وعلى الطائف ، ومكة الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان .

(ا) في الطبري ثلاثة أبيات بيت قبل هذا :

#فقُل للخليفة أن جئتَهُ نصيحاً ولا خيرَ في المتهم

وبيت بعده .

#فتى لا ينامُ على دِمنةٍ ولا يشرب الماءَ إلا بِدمْ

وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرط المنصور ، وعلى مصر ، والهند خليفته على الهند عيينة ابنه ؛ وكأن قد عزل موسى عن مصر ووليها محمد بن الأشعث ثم عزل عنها ووليها نوفل بن محمد بن الفرات .

وحج بالناس هذه السنة صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على الشام ،وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية ، وعلى خراسان المهدى وخليفته بها السري بن عبد الله ،وعلى الموصل اسماعيل بن علي ، وفيها مِات سعد بن سعيد أخو يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابان بن تغلب القارىء .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب

في هذه السنة خلع عيينة بن موسى بالسند وكان عاملًا عليها،وسبب خلعه أن أباه كان استخلف المسيب بن زهير على الشرط فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلي من الشرط وخاف أن يحضر المنصور عيينة فيوليه ما كان إلى أبيه فكتب إليه ببيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه .

#فأرضك أرضك إن تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم

فخلع الطاعة، فلما بلغ الخبر إلى المنصور سار بعسكره حتى نزل على جسر البصرة، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفراء(1) العتكي عاملًا على السند ، والهند فحاربه عيينة فسار حتى ورد السند فغلب عليها .

ذكر نكث الاصبهبذ

وفي هذه السنة نكث الاصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين وقتل من كان ببلاده منهم ، فلما انتهى الخبر إلى المنصور سير مولاه أبا الخصيب ، وخازم بن خزيمة، وروح بن حاتم فأقاموا على الحصن يحاصرونه وهو فيه وهم يقاتلونه فلما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب في ذلك فقال لأصحابه : اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك به ولحق بالاصبهبذ فقال له : فعل بي هذا تهمة منهم لي أن يكون هواي معك وأخبره أنه معه وانه دليل على عورة عسكرهم ، فقبل ذلك الاصبهبذ وجعله في خاصته وألطفه ، وكان باب حصنهم من حجر يلقى القاء يرفعه الرجال وتضه عند

(ا) في الطبري " حفص بن أبي صفرة " .

فتحه واغلاقه وكأن الاصبهبذ يوكل به ثقات اصحابه نوباً بينهم فلما وثق الاصبهبذ إلى أبي الخصيب وكله بالباب فتولى فتحه واغلاقه حتى أنس به ، ثم كتب أبو الخصيب الى روح ، وخازم وألقى الكتاب في سهم وأعلمهم أنه قد ظفر بالحيلة وواعدهم ليلة في فتح الباب ، فلما كان تلك الليلة فتح لهم فقتلوا من في الحصن من المقاتلة وسبوا الذرية وأخذوا شكلة أم ابراهيم بن المهدى ، وكان مع الاصبهبذ سم فشربه فمات (1)، وقد قيل : ان ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة .

ذكر عدة حوادث

وفيها مات سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس –وهو على البصرة -في جُمادى الآخرة وعمره تسع وخمسون سنة وصلى عليه أخوه عبد الصمد.

وفيها عزل نوفل بن الفرات عن مصر ووليها حميد بن قحطبة ، وحج بالناس اسماعيل بن علي بن عبد الله ، وكان العمال من تقدم ذكرهم ، وولى المنصور الجزيرة ، والثغور والعواصم أخاه العباس بن محمد ، وعزل المنصور عمه اسماعيل ابن علي عن الموصل فاستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعي جد أحمد بن نصير الذي قتله الواثق -وكان خير أمير .

وفيها مات يحمص بن سعيد الأنصاري أبو سعيد قاضي المدينة ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة م ربع وأربعين .

وفيها مات موسى بن عقبة مولى آل الزبير.

وفيها توفي أيضاً عاصم بن سليمان الأحول ، وقيل : سنة ثلاث وأربعين .

وفيها مات حميد بن أبي حميد طرخان ، وقيل : مهران مولى ك بن عبد الله الخزاعي –وهو حميد الطويل -يروي عن أنس بن مالك وعمره خمس وسبعون سنة.

(ا) عبارة الطبري " فمص الأصبهبذ خاتماً له فيه سم فقتل نفسه ".

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

في هذه السنة ثار الديلم بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فبلغ ذلك المنصور فندب الناس إلى قتال الديلم وجهادهم ، وفيها عُزل الهيثم بن معاوية عن مكة ، والطائف وولي ذلك السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس - وكان على اليمامة - فسار إلى مكة واستعمل المنصور علي اليمامة قثم بن عباس بن عبد اللّه .

وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر واستعمل عليها نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل واستعمل عليها يزيد بن حاتم ، وحج بالناس هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله وكان إليه ولاية الكوفة ، وفيها ثار بالأندلس رزق بن النعمان الغساني على عبد الرحمن ، وكان رزق على الجزيرة الخضراء فاجتمع إليه خلق عظيم فسار إلى شذونة فملكها ودخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وضيق على من بها فتقربوا إليه بتسليم رزق إليه فقتله فآمنهم ورجع عنهم .

وفيها مات عبد الرحمن بن عطاء صاحب الشارعة- وهي انخل - وسليمان بن طرخان التيمي ، وأشعث بن سوار ، ومجالد بن سعيد .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

في هذه السنة سير أبو جعفر الناس من الكوفة ، والبصرة ، والجزيرة ، والموصل الى غزو الديلم واستعمل عليهم محمد بن أبي العباس السفاح .

وفيها رجع المهدي من خراسان الى العراق وبنى بريطة ابنة عمه السفاح ، وفيها حج المنصور واستعمل على عسكره والميرة خازم بن خزيمة .

ذكر استعمال رياح بن عثمان المري على المدينة ، وأمر محمد بن عبد اللّه بن الحسن

وفيها استعمل المنصور على المدينة رياح بن عثمان المري وعزل محمد بن خالد ابن عبد الله القسري عنها ، وكان سبب عزله وعزل زياد قبله أن المنصور أهمه أمر محمد ، وابراهيم ابني عبد اللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وتخلفهما عن الحضور عنده مع من حضره من بني هاشم عام حج أيام السفاح سنة ست وثلاثين ، وذكر أن محمد بن عبد الله كان يزعم ان المنصور ممن بايعه ليلة تشاور بنو هاشم بمكة فبمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر مروان بن محمد ، فلما حج المنصور سنة ست وثلاثين سأل عنهما فقال له زياد بن عبيد اللّه الحرثيِ : ما لِهمك من أمرهما ؟ أنا آتيك بهما وكان معه بمكة فرده المنصور إلى المدينة ، فلما استخلف المنصور لم يكن همه إلا أمر محمد والمسألة عنه وما يريد فدعا بنى هاشم رجلاً رجلاً يسأله سراً عنه فكلهم يقول : قد علم أنك عرفته يطلب هذا الأمر فهو يخالفك على نفسه وهو لا يريد لك خلافاً وما أشبه هذا الكلام إلا الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب فانه

علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق أن لا تبغيني بسوء ولا تكيد لي سلطاناً قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين فلحظ المنصور عقبة بن سلم فاستدار حتى وقف بين يدي عبد الله فأعرض عنه فاستدار حتى قام وراء ظهره فغمزه باصبعه فرفع رأسه فملأ عينه منه فوثب حتى قعد بين يدي المنصور فقال : أقلني يا أمير المؤمنين اقالك الله قال :لا أقالني الله ان أقلتك ثم أمر بحبسه ، وكان محمد قد قدم قبل ذلك البصرة فنزلها في بني راسب يدعو إلى نفسه ، وقيل : نزل على عبد الله بن شيبان أحد بني مرة بن عبيد ثم خرج منها فبلغ المنصور مقدمه البصرة فسار إليها مجداً(ا) فنزل عند الجسر الأكبر فلقيه عمرو بن عبيد فقال له : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ، قال :لا قال : فاقتصر على قولك وانصرف قال : نعم ، وكان محمد قد سار عنها قبل مقدم المنصور فرجع المنصور واشتد الخوف على محمد ، وابراهيم ابني عبد الله فخرجا حتى أتيا عدن ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ثم إلى المدينة .

وكان المنصور قد حج سنة أربعين ومائة فقسم أموالاً عظيمة في آل أبي طالب فلم يظهر محمد ، وابراهيم فسأل أباهما عبد الله عنهما فقال :لا علم لي بهما فتغالظا فامصه أبو جعفر المنصور حتى قال له : امصص كذا وكذا من أمك فقال : يا أبا جعفر بأي أمهاتي تمصني أيفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أم بفاطمة بنت الحسين بن علي ؟ أم بأم إسحاق بنت طلحة ؟ أم بخديجة بنت خويلد ؟ قال :لا بواحدة منهن ولكن بالحرباء بنت قسامة بن زهير وهى امرأة من طيء ، فقال المسيب بن زهير : يا أمير المؤمنين دعني أضرب عنق ابن الفاعلة ، فقام زياد بن عبيد الله فألقى عليه رداءه وقال : هبه لي يا أمير المؤمنين فأستخرج لك ابنيه فتخلصه منه ، وكان محمد ، وابراهيم ابنا عبد الله قد تغيبا حين حج المنصور سنة أربعين ومائة عن المدينة ، وحج أيضاً فاجتمعوا بمكة وأرادوا اغتيال المنصور فقال لهم الأشتر عبد الله بن محمد : أنا أكفيكموه فقال محمد :لا والله لا أقتله أبداً غيلة حتى أدعوه لينقض ما كانوا أجمعوا عليه . وكان قد دخل عليهم قائد من قواد المنصور من أهل خراسان اسمه خالد بن حسان يدعى أبا العساكر على ألف رجل فنمى الخبر إلى المنصور فطلب فلم يظفر به فظفر بأصحابه فقتلهم ، وأما القائد

(ا) في الطبري " مغذا " وهو نوع من السير.

فإنه لحق بمحمد بن عبد الله بن محمد ، ثم ان المنصور حث زياد بن عبيد الله على طلب محمد ، وابراهيم فضمن له ذلك ووعده به ، فقدم محمد المدينة قدمة فبلغ ذلك زياداً فتلطف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس فوعده محمد ذلك ، فركب زياد مع المساء ووعد محمداً سوق الظهر ، وركب محمد فتصايح الناس يا أهل المدينة المهدي المهدي فوقف هو ، وزياد، فعَال زياد : أيها الناس هذا محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قال له : الحق بأي بلاد الله شئت فتوارى محمد . وسمع المنصور الخبر فأرسل أبا الأزهر في جُمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة إلى المدينة فأمره أن يستعمل على المدينة عبد العزيز بن الطلب وأن يقبض على زياد ، وأصحابه ويسير بهم إليه ، فقدم أبو الأزهر المدينة ففعل ما أمره وأخذ زياداً ، وأصحابه وسار نحو المنصور ، وخلف زياد في بيت مال المدينة ثمانين ألف دينار فسجنهم المنصور ثم منَ عليهم بعد ذلك .

واستعمل المنصور على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري وأمره بطلب محمد بن عبد الله وبسط يده في النفقة في طلبه ، فقدم المدينة في رجب سنة إحدى وأربعين فأخذ المال ورفع في محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد فاستبطأه أبو جعفر واتهمه فكتب إليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها فطاف ببيوت الناس فلم يجد محمداً . فلقا رأى المنصور ما قد أخرج من الأموال ولم يظفر بمحمد استشار أبا العلاء(1) رجلاًمن قيس عيلان في أمر محمد بن عبد الله ، وأخيه فقال : أرى أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة فإنهم يطلبونهما بزحل ويخرجونهما إليك فقال قاتلك الله ما أجود ما رأيت والله ما خفي عليَّ هذا ولكني أعاهد الله لا أنتقم من بني عمي وأهل بيتي بعدوي وعدوهم ولكني أبعث عليهم صعلوكاً من العرب يفعل بهم ما قلت ، فاستشار يزيد بن يزيد السلمي وقال له : دلني على فتى مُقِلٍ من قيس أغنيه وأشرفه وأمكنه منِ سيد اليمن -يعني ابن القسري -قال : هو رياح بن عثمان بن حيان المري فسيره أميراً على المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين ، وقيل : ان رياحاً ضمن للمنصور أن يخرج محمداً ، وابراهيم ابني عبد الله ان استعمله على المدينة فاستعمله عليها فسار حتى دخلها ، فلما دخل دار مروان وهى التي كان ينزلها الأمراء قال لحاجب

(ا) في الطبرى أبا السعلاء.

كان له يقال له : ابو البختري : هذه دار مروان ؟ قال نعم . قال : أما إنها محلال مظعان ونحن أول من يظعن منها .

فلما تفرق الناس عنه قال لحاجبه : يا أبا البختري خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ -يعني عبد الله بن الحسن فدخلا عليه فقال رياح : أيها الشيخ إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة ولا ليد سلفت إليه والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد ، وابن القسري والله لازهقن نفسك او لتأتيني بابنيك محمد ، وابراهيم فرفع رأسه إليه وقال : نعم أما والله انك لأزيرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة ؛ قال : أبو البختري : فانصرف والله رياح آخذاً بيدي أجد برد يده وأن رجليه ليخطان الأرض مما كلمه قال : فقلت له إن هذا ما اطلع على الغيب فقال : إيهاً ويلك فوالله ما قال إلا ما سمع فذبح كما تذبح الشاة ، ثم انه دعا بالقسري وسأله عن الاموال وضربه وسجنه وأخذ كاتبه زراعاً وعاقبه فأكثر وطلب إليه أن يذكر ما أخذ محمد بن خالد من الأموال وهولا يجيبه فلما طال عليه العذاب أجابه إلى ذلك فقال له رياح : احضر الرفيعة وقت اجتماع الناس ففعل ذلك ، فلما اجتمع الناس أحضره فقال : أيها الناس إن الأمير أمرني ان أرفع علي ابن خالد وقد كتب كتاباً خان فيه وإنَّا لنشهدكم أن كل ما فيه باطل ، فأمر رياح فضرب مائة سوط ورد إلى السجن ، وجد رياح في طلب محمد فأخبر أنه في شعب من شعاب رضوي جبل جهينة –وهو من عمل ينبع – فأمر عامله في طلب محمد فهرب منه راجلاً فأفلت وله ابن صغير ولد في خوفه. وهو مع جارية له فسقط من الجبل فقطع فقال محمد:

منخرقُ السّربالِ يشكو الوجى تنكُبُهُ أطرافُ مروٍ حِدَاد
قد كان في الموت له راحة والموتُ حتمٌ في رقابِ العباد
#شردِّهُ الخوفُ فَأزرَى به كذاكَ مَنْ يَكرهُ حَر الجلاد

وبينا رياح يسير في الحرة إذ لقي محمداً فعدل محمد إلى بئر هناك فجعل يستقي فقال رياح : قاتله الله اعرابياً ما أحسن ذراعه .

ذكر حبس أولاد الحسن

قد ذكرنا قبل أن المنصور حبسهم ، وقد قيل أيضاً : ان رياحاً هو الذي حبسهم ،

قال علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي : حضرنا باب رياح في المقصورة فقال الآذن : من كان ههنا من بني الحسين فليدخل فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان ثم قال : من ههنا من بني الحسن فليدخل فدخلوا من باب المقصورة ودخل الحدادون من بني مروان فدعا بالقيود فقيدهم وحبسهم .

وكانوا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، والحسن ، وابراهيم ابني الحسن ابن الحسن ، وجعفر بن الحسن بن الحسن ، وسليمان ، وعبدالله ابني داود بن الحسن بن الحسن ، ومحمداً واسماعيل واسحاق بني ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعباس بن الحسن بن الحسن بن علي ، وموسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فلما حبسهم لم يكن فيهم علي بن الحسن بن الحسن بن علي العابد ، فلما كان الغد بعد الصبح وإذ قد أقبل رجل متلفف فقال له رياح : مرحباً بك ما حاجتك ؟ قال : جئتك لتحبسني مع قومي فإذا هو علي بن الحسن بن الحسن فحبسه معهم ،وكان محمد قد أرسل ابنه علياً إلى مصر يدعو إليه فبلغ خبره عامل مصر ، وقيل : انه على الوثوب بك والقيام عليك بمن شايعه فقبضه وأرسله إلى المنصور فأعترف له وسمى أصحاب أبيه ، وكان فيمن سمى عبد الرحمن بن أبي الوالي ، وأبو جبير فضربهما المنصور وحبسهما وحبس علياً فبقي محبوساً إلى إن مات ، وكتب المنصور إلى رياح أن يحبس معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان – المعروف بالديباج –وكأن أخا عبد بن الحسن بن الحسن لان أمهما جميعاً فاطمة بنت الحسين بن علي فأخذه معهم ، وقيل : إن المنصور حبس عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وحده وترك باقي أولاد الحسن فلم يزل محبوساً فبقي الحسن بن الحسن بن الحسن قد نصل خضابه حزناً على أخيه عبد الله ، وكان المنصور يقول : ما فعلت الحادة .

ومر الحسن بن الحسن بن الحسن على ابراهيم بن الحسن وهو يعلف إبلاً له - فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ؟ يا غلام أطلق عقلها فأطلقها ثم صاح في بم أدبارها فلم يوجد منها بعير ؛ فلما طال حبس عبد الله بن الحسن قال عبد العزيز بن كالاً سعيد للمنصور : أتطمع في خرج محمد ، وابراهيم وبنو الحسن مخلون ؟ والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد فكان ذلك سبب حبس الباقين .

ذكر حملهم إلى العراق

ولما حج المنصور سنة أربع وأربعين ومائة أرسل محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة ، ومالك بن أنس إلى بني الحسن وهم في الحبس يسألهم أن يدفعوا إليه محمداً ، وابراهيم ابني عبد الله فدخلا عليهم -وعبد الله قائم يصلي -. فأبلغاهم دفي نج في الرسالة فقال الحسن بن الحسن أخو جمد الله : هذا عمل ابني المشؤومة أما والله ما هذا عن رأينا ولا عن ملامنا ولنا فيه حكم ، فقال له أخوه ابراهيم : علام تؤذي أخاك في ابنيه وتؤذي ابن أخيك في أمه به ثم فرغ عبد الله من صلاته فأبلغاه الرسالة فقال :لا والله لا أرد عليكما حرفاً إن أحب أن يأذن لي فألقاه فليفعل ، فانطلق الرسولان فأبلغا المنصور فقال : أيسخر بي ؟ لا والله لا ترى عينه عيي حتى يأتيني بابنيه وكان عبد الله لا يحدث أحداً قط إلا قلبه عن رأيه.

ثم سار المنصور لوجهه فلما حج ورجع لم يدخل المدينة ومضى إلى الربذة فخرج إليه رياح إلى الربذة فرده إلى المدينة وأمره بإشخاص بني الحسن إليه ومعهم ثر ثًر أ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أخو بني الحسن لأمهم ، فرجع رياح فأخذهم وسار بهم إلى الربذة وجعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم وجعلهم في محامل بغير وطاء ، ولما خرج بهم رياح من المدينة وقف جعفر بن محمد من وراء ستر يراهم ولا يرونه وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله ثم قال : والله لا يحفظ الله حرميه بعد هؤلاء ، ولما ساروا كأن محمد، وابراهيم ابنا عبد الله يأتيان كهيئة الاعراب فيتساران مع أبيهما ويستأذن بالخروج ويقول :لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك وقال لهما : إن منعكما أبو جعفر-يعني المنصور- أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين ، فلما وصلوا إلى الربذة أدخل محمد بن عبد الله العثماني على المنصور وعليه قميص وازار رقيق فلما وقف بين يديه قال : إيهاً ياديوث قال محمد : سبحان الله لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً قال : فممن خملت ابنتك رقية ؟ -وكانت تخت ابراهيم بن عبداللّٰه بن الحسن – وقد أعطيتني الأيمان أن لا تغشني ولا تماليء علي عدواً أنت ترى ابنتك حامل 9 وزوجها غائب وأنت بين أن تكون حانثاً أو ديوثاً وايم الله اني لأهم برجمها ، قال محمد : أما أيماني فهي علي إن كنت دخلت لك في أمر غش

وأما ما رميت به هذه الجارية فإن الله قد أكرمها بولادة رسول – الله صلى الله عليه وسلم إياها ولكني ظننت حين ظهر حملها أن زوجها ألم بها على حين غفلة .

فاغتاظ المنصور من كلامه وأمر بشق ثيابه عن ازاره فحكى أن عورته قد كشفت ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط فبلغت منه كل مبلغ –والمنصور يفتَري عليه لا يكني (ا) فأصاب سوط منها وجهه فقال : ويحك اكفف عن وجهي فان له حرمة برسول الله صلى الله عليه وسلم فأغرى المنصور فقال للجلاد : الرأس الرأس فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ،وأصاب إحدى عينيه سوط فسالتَ ، ثم اخرج وكأنه زنجي من الضرب وكان من أحسن الناس وكان يسمى الديباج لحسنه - فلما أخرج وثب إليه مولى له فقال : ألا أطرح ركاني (2) عليك ؟ قال : بلى ، جزيت خيراً والله إنك لشفوف ازاري أشد علي من الضرب .

لا وكان سبب أخشه أن رياحاً قال للمنصور: يا أمير المؤمنين أما أهل خراسان فشيعتك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب . وأما أهل الشام فوالله ما علي عندهم إلا كافر ولكن محمد بن عبد الله العثماني لو دعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم أحد فوقعت في نفس المنصور فأمر به فاخذ معهم وكان حسن الرأي فيه قبل ذلك ، ثم إن أبا

عون كتب إلى المنصور أن أهل خراسان قد تغاشوا عني وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله فأمر المنصور بمحمد بن عبد اللّه بن عمرو العثماني فقتل وأرسل رأسه إلى خراسان وأرسل معه من يحلف أنه رأس محمد بن عبد اللّه وأن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فلما قتل قال أخوه عبد الله بن الحسن : إنا للّه وإنا إليه راجعون إن كنا لنأمن به فلما سلطانهم ثم قد قتل بنا في سلطاننا ، ثم ان المنصور أخذهم وسار بهم من الربذة فمر بهم على بغلة شقراء فناداه عبد الله بن الحسن : يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر فأخساه أبو جعفر وثقل عليه ومضى ، فلما تدموا إلى الكوفة قال عبد الله لمن معه : أما ترون في هذه القرية من لِمنعنا من هذه الطاغية ؟ قال : فلقيه الحسن ،وعليِ ابنا أخيه مشتملين على سيفين فقالا له : قد جئناك يا ابن رسول الله فمرنا بالذي تريد قال : قد قضيتما ما عليكما ولن تغنيا في هؤلاء شيئاً فانصرفا .

(ا) في الطبري " ولا ينكى "

(2) في الطبري " الوثك بردائي " .

ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة ، وأحضر المنصور محمد ابن ابراهيم بن الحسن - وكان أحسن الناس صورة - فقال له : أنت الديباج الأصغر؟ قال : نعم . قال : لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حي فمات فيها ، وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم ، ثم عبد الله بن الحسن فدفن تريباً من حيث مات فإن يكن في القبر الذي يزعم الناس أنه قبره وإلا فهو قريب منه ، ثم مات علي بن الحسن ، وقيل : إن المنصور أمر بهم فقتلوا ، وقيل : بل أمر بهم فقتلوا ، وقيل :. بل أمر بهم فسقوا السم ، وقيل : وضع المنصور على عبد الله من قال له: ان ابنه محمداً قد خرج فقتل فانصدع قلبه فمات ؛ والله أعلم ، ولم ينج منهم الا سليمان ، وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن علي ، واسحاق واسماعيل ابنا ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وجعفر بن الحسن وانقضى امرهم .

ذكر عدة حوادث

كان على مكة هذه السنة السري بن عبد الله ؛ وعلى المدينة رياح بن عثمان ،وعلى الكوفة عيسى بن موسى ؛ وعلى البصرة سفيان بن معاوية ، وعلى مصر يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب بن أبي صفرة -وهو الذي تال فيه يزيد بن ثابت يمدحه ويهجو يزيد بن أسيد السلمي:-

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر بن حاتم

في أبيات كثيرة - وكان ممدحاً جواداً - ، وفيها ثار هشام بن عذرة الفهري وهو من بني عمرو ، ويوسف بن عبد الرحمن الفهري بطليطلة على الأمير عبد الرحمن الأموي فاتبعه من فيها فسار إليه عبد الرحمن فحاصره وشدد عليه الحصار فمال إلى الصلح وأعطاه ابنه أفلح رهينة فأخذه عبد الرحمن ورجع إلى قرطبة فرجع هشام وخلع عبد الرحمن فعاد إليه عبد الرحمن وحاصره ونصب عليه المجانيق فلم يؤثر فيها لحصانتها فقتل أفلح ابنه ورمى رأسه في المنجنيق ورحل إلى قرطبة ولم يظفر بهشام . وفيها مات عبد الله بن شبرمة ، وعمرو بن عبيد المعتزلي -وكل زاهداً -وبريد بن أبي مريم مولى سهل بن الحنظلية ، وعقيل بن خالد الأيلي صاحب الزهري وكان موته بمصر فجأة - ومحمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي أبو الحسن المدني ، وهاشم ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المدني (بريد) بضم الباء الموحدة وفتح الراء المهملة ، و (عُقَيل) بضم العين المهملة وفتح القاف .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر ظهور محمد بن عبداللّه بن الحسن

في هذه السنة كان ظهورُ محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن ابي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل : رابع عشر شهر رمضان ،قد ذكرنا فيما تقدم أخباره وتبعته ، وحمل المنصور أهله إلى العراق ، فلما حملهم وسار بهم رد رياحاً إلى المدينة أميراً عليها ، فألح في طلب محمد ، وضيق عليه ، وطلبه حق سقط ابنه فمات ، وأرهقه الطلبُ يوما فتدك في بئرٍ بالمدينة يناول أصحابه الماء وانغمس في الماء إلى حلقه وكانَ بَدَنُهُ لا يش لعظمه ، وبلغ رياحاً خبرُ محمد وأنه بالمذار فركب نحوه في جنده ، فتنحى محمد عن طريقه واختفى في دار الجهنية ،فحيث لم يره رياح رجع الى دار مروان ، وكان الذي أعلم رياحاً سليمان بن عبدالله بن أبي سبرة ، فلما اشتد الطلب بمحمد خرج قبل وقته الذي واعد أخاه إبراهيم على الخروج فيه ، وقيل : بل خرج محمد لميعاده مع أخيه ، وإنما أخوه تأخر لجدري سقه ، وكان عبيدالله بن عمرو بن أبي ذئب وعبد الحميد بن جعفر يقولان لمحمد بن عبدالله : ما تنتظره بالخروج فوالله ما على هذه الأمة أشأم منك ، اخرج ولو وجدك فتحرك بذلك أيضاً ، وأتى رياحاً الخبر أن محمداً خارجٌ الليلة ، فأحضر محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد قاضي المدينة والعباس بن عبدالله بن الحرث بن العباس وغيرهما عنده فصمت طويلاً ثم تال لفم : يا أهلَ المدينة أمير المؤمنين يطلب محمداً في شرق الأرض وغربها ، وهو بين م ظهركم ، وأقسم بالله لئن خرج لأقتلنكم أجمعين .

وقال لمحمد بن عمران : أنت قاضي أمير المؤمنين فادع عشيرتك فأرسل تجمع بني زهرة ، فأرسل ، فجاؤوا في جمع كثير فأجلسهم بالباب ، فأرسل فأخذ نفراً من

العلويين وغيرهم ، فيهم جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، والحسين بن علي بن أ الحسين بن علي ، والحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي ، ورجال من قريش فيهم إسماعيل بن أيوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن المغيرة ، وابنه خالد ، فبينما هم عنده إذ ظهر محمد فسمعوا التكبير فقال ابن مسلم بن عقبة المري وكان مع رياح : أطعني في هؤلاء واضرب أعناقهم ، فقال له الحسين بن علي بن الحسين وابن علي : والله ما ذاك إليك أنا لعلى السمع والطاعة ، وأقبل محمد من المذار(ا) في مائة وخمسين (2) رجلًا فأتى في بني سلمة بهؤلاء تفاؤلاً بالسلامة وقصد ا السجن ، فكسر بابه ، وأخرج من فيه ، وكان فيهم . محمد بن خالد بن عبدالله القسري ، وابن اخ النذير بن يزيد ، ورزام فأخرجهم ، وجعل على الرجالة أخوات بن بكير بن خوّات بن جبير ، وأتى دار الإمارة وهو يقول لأصحابه لا تقتلوا إلّا لا أن يقتلوا فامتنع منهم رياح ، فدخلوا من باب المقصورة وأخذوا رياحاً أسيراً ، وأخاه عباساً وابن مسلم بن عقبة المري فحبسهم في دار الإمارة ، ثم خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندةً لله في ملكه وتصغيراً للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : أنأ ربكم الأعلى ، لان أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين والأنصار المواسين ، اللهم إنهم لأحلّوا حرامَك وحرموا حلالَك وأمنوا من أخفت وأخافوا من أمنت ، اللهم فأحصِهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً ، أيها الناس إني والله ما خرجت بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوةٍ ولا شدةٍ ، ولكني اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه وفي الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه البيعة ، وكان المنصور يكتب إلى محمد على ألسن قواده يدعونه إلى الظهور ويخبرونه أنهم معه فكان محمد يقوله ، ويقول : لو التقينا مال إلى القواد كلهم . واستولى محمد على المدينة، واستعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله المخزومي ، وعلى بيت السلاح عبد العزيز الدراوردي ، وعلى الشرط أبا القلمس

(1) في الطبري " من المذاد " بالدال المهملة في آخره .

(2) في الطبري " ومعه مائتان وخمسون " .

عثمان بن عبيدالله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسوّر بن مخرمة ، وقيل : كأن على شرطته عمد الحميد لن جعفر فعزلهُ .

وأرسل محمد إلى محمد بن عبد العزيز إني كنت لأظنك ستنصرنا وتقوم معنا ،فاعتذر إليه وقال : أفعل ، ثم انسلّ منه وأتى مكةَ ، ولم يتخلف عن محمد أحدٌ من وجوه الناس إلا نفر منهم الضحاك بن عثمان بن عبدالله بن خالد لن حزام ، وعبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله بن خالد ، وأبو سلمة بن عبيدالله بن عبيدالله بن عمر ، وحبيب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير . وكأن أهل المدينة قد استفتوا مالك بن أنس في الخروج مع محمد وقالوا : إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال : إنما بايعتم مكرهين ولبس على مكره يمين فأسرع الناس إلى محمد ولزم مالك بيته ، فأرسل محمد إلى اسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب -وكان شيخاً كبيراً -فدعاه إلى بيعته فقال : يا ابن أخي أنت والله مقتول ، فكيف أبايعك ؟ فارتدع الناس عنه قليلاً ، وكان بنو معاوية بن عبدالله بن جعفر قد أسرعوا إلى محمد ، فأتت حمادة بنت معاوية إلى إسماعيل بن عبدالله وقالت له : يا عم إن إخوتي قد أسرعوا إلى ابن خالهم ، وإنك إن قلت هذه المقالة ثبطت الناس عنه فيقتل ابن خالي ، وإخوتي ،فأبى إسماعيل إلّا النهي عنه ، فيقال : إن حمادة عدت عليه فقتله ، فأراد محمد الصلاة عليه فمنعه عبدالله بن إسماعيل وقال : أتأمر بقتل أبي وتصلي عليه ؟ فنحاه الحرس وصلى عليه محمد.

ولما ظهر محمد كان محمد بن خالد القسري بالمدينة في حبس رياح فأطلقه ، وقال ابن خالد : فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر قلت : هذه دعوة حق والله لأبلين لله فيها بلاء حسناً فقلت : يا أمير المؤمنين إنك قد خرجت بهذا البلد ، والله لو وقف على نقب من أنقابه أحد مات أهله جوعاً وعطشاً ، فأنهض معي فإنما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف ، فأبى علي . فبينا أنا عنده إذ قال : ما وجدنا من خير المتاع شيئاً أجود من شيء وجدناه عند ابن أبي فروة ختن أبي الخصيب وكان انتهبه ،قال : فقلت ألا أراك قد أبصرت خير المتاع ، فكتبت الى المنصور فأخبرته بقلة من معه ، فأخذني محمد ، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد. قتله

بأيام ، وكان رجل من آل أويس بن ابي سرح العامري عامر بن لوي ، اسمه الحسين بن صخر بالمدينة لما ظهر محمد سار من ساعته إلى المنصور فبلغه في تسعة أيام ، فقدم ليلاً فقام على أبواب المدينة فصاح حتى علموا به وأدخلوه ، فقال الربيع : ما حاجتك في هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ؟ قال لا بد لي منه .

فدخل الربيع على المنصور ، فأخبره خبره وأنه قد طلب مشافهته ، فأذن له فدخل عليه فقال : يا أمير المؤمنين خرج محمد بن عبدالله بالمدينة قال : قتلته والله إن كنت صادقاً ، أخبرنيِ من معه ، فسقى له من معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته قال : أنت رأيته وعاينته ، قال : أنا رأيته وعاينته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاء رسول لسعيد بن دينار غلام عيسى بن موسى يلي أمواله بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسي فقال : لأوطئن الرجال عقبيك ولأعيننك ، فأمر له بتسعةِ آلاف درهم لكل ليلةٍ ألفُ درهم . وأشفق منِ محمد ، فقال له الحارثي المنجم : يا أمير المؤمنين ما يُجزعكَ منه ؟ والله لو ملك الأرض ما لبث إلّا تسعين يوماً ،فأرسل المنصور إلى عمه عبدالله بن علي – وهو محبوسٌ - إنّ هذا الرجل قد خرج فإن كان عندك رأي فأشر به علينا – وكان ذا رأي عندهم – فقال : إن المحبوس محبوس الرأي ، فارسل إليه المنصور لو جاءني حتى يضرب بابي ما أخرجتك ، وأنا خير لك منه وهو ملك أهل بيتك ، فأعاد عليه عبدالله ، ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة فاجثم على أكنافهم فانهه ا شيعة أهل هذا البيت وأنصاره ، ثم احففها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ؛ وابعث إلى سلم بن قتيبة يتحدر إليك -وكان بالري -واكتب إلى أهل الشام ، فمرْهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد ، فأحسن جوائزهم ، ووجههم مع سلم ، ففعل ، وقيل : أرسل المنصور الى عبدالله مع إخوته يستشيرونه في أمر محمد وقال لهم لا يعلم عبدالله أني أرسلتكم إليه ، فلما دخلوا عليه قال : لأمر ما جشم ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتموني مذ دهرٍ ؟ قالوا : إنا استأذنا أمير المؤمنين ، فأذن لنا قال : ليس هذا بشيء فما الخبر؟ قالوا : خرج محمد بن عبدالله قال : فما ترون ابن سلامة صانعاً -يعني المنصور-قالوا لا ندري والله قال : ان البخل قد قتله ، فمروه

، فليخرج الأموال وليعط الأجناد ، فان غلب فما أسرع ما يعود إليه ماله وإن غلب لم يقدم صاحبه على دينار ولا درهم .

ولما ورد الخبر لم على المنصور بخروج محمد كان المنصور قد خط مدينة بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة ومعه عبدالله بن الربيع بن عبيدالله بن عبد المدان فقال له المنصور : إن محمداً قد خرج بالمدينة ، فقال عبدالله : هلك وأهلك ، خرج في غير عدد ولا رجال . حدثني سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي قال : كنت مع مروان يوم الزاب واقفاً فقال لي مروان : من هذا الذي يقاتلني ؟ قلت : عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس قال : وددت والله أن علي بن أبي طالب يقاتلني مكانه ، إن علياً وولده لا حظ لهم في هذا الأمر، وهل هو إلا رجل من بني هاشم وابن عم رسول الله معه ريح الشام ونصر الشام ،يا ابن جعدة تدري ما حملني أن عقدت لعبدالله وعبيدالله بعدي وتركت عبد الملك وهو أكبر من عبيدالله ؟ قال ابن جعدة :لا . قال : وجدت الذي يلي هذا الأمر عبدالله وعبيدالله وكان عبيدالله أقرب الى عبدالله من عبد الملك فعقدت له ، فاستحلفه المنصور على صحة ذلك ، فحلف له ، فسرى عنه .

ولما بلغ المنصور خبر ظهور محمد قال لأبي أيوب وعبد الملك : هل من رجلٍ تعرفانه بالرأي يجمع رأيه إلى رأينا ؟ قالا : بالكوفة بديل بن يحيى – وكان السفاح يشاوره – فارسل إليه وقال له : إن محمداً قد ظهر بالمدينة قال : فاشحن الأهواز بالجنود ، قال : انه ظهر بالمدينة ، قال : قد فهمت ، وإنما الأهوازُ الباب الذي تؤتون منه ، فلما ظهر إبراهيم بالبصرة قال له المنصور ذلك ، قال : فعاجله بالجنود واشغل الأهواز عليه ، وشاور المنصور أيضاً جعفر بن حنْظَلة البهراني عند ظهور محمد ،فقال :وجه الجنود إلى البصرة ، تال : انصرف حتى أرسلَ إليك .

فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إليه ، فقال له ذلك ، فقال : إني خفت بادرة الجنود ، قال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة وليسوا أهل الحرب بحسبهم أن يقيموا شان أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب فلم يبق إلا البصرة ، ثم إن المنصور كتب إلى محمد : بسم الله الرحمن الرحيم { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض }[المائدة : 33] الآيتين . ولك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله أن أؤمنك ، وجميع ولدك ، وإخوتك ،

وأهل بيتك ، ومن اتبّعكم ، على دمائكم ، وأموالكم ، وأسوغك ما أصبت من دم ، أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من في حبسي من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبّعك أو دخل في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجّه إليّ من أحببت يأخذ لك مني الأمان والعهد والميثاق ما تتوثق به والسلام . فكتب إليه محمد { طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون - إلى -يحذرون } [القصص : 1-6] وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت علي ، فإن الحق حقنا ،وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضله فإن أبانا علياً كان الوصي ، وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمت أنه لم يطلب الأمر أحد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ، لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت أحد من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة ، والسابقة ، والفضل . وإنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم ، إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد أفضلهم ، ومنهم السلف أولهم إسلاماً علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة وأول من صلى إلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأن هاشماً ولد علياً مرتين ، وأن عبد المطلب ولد حسناً مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ، وإني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً ، لم تعرف في العجمة ولم تنازع في أمهات الأولاد فما زال الله يختار لي الأباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في الأشرار ، فأنا ابن أرفع الناس درجةً في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار ؛ ولك الله على أن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك ، وعلى كل أمراً حدثته إلّا حداً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم ، أو معاهد فقد علمت ما يلزمني من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من الأمان والعهد ما أعطيته رجالاً قبلي ، فأي الأمانات تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبدالله بن علي ، أم أمان أبي مسلم ؟

ولد ولهو خير من جدك حسن بن حسين ؛ وما كان فيكم بعده مثل محمد بن علي وجدته أم ولد ولهو خير من أبيك ، ولا مثل ابنه جعفر وجدته أم ولد ، وهو خير منك ، وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقول في كتابه : { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم } [الأحزاب :40] ولكنكم بنو بنته ، وإنها لقرابة قريبة ولكنها لا يجوز لها الميراث ولا ترث الولاية ولا يجوز لها الإمامة فكيف تورث بها ، ولقد طلبها أبوك بكل وجهٍ ، فأخرجَ فاطمة نهاراً ومرضها سراً ودفنها ليلاً ، فأبى الناس إلا الشيخين ، ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها من المسلمين أن الجد أبا الأم والخال والخالة لا يورثَون ، وأمّا ما فخرت به من علي وسابقته فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة،فأمر غيره بالصلاة ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ولم يروا له حقاً فيها ، وأما عبد الرحمن فقدم عليه عثمان وهو له متهم وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعد بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه وقاتل عليها وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ثم حكم حكمين رضي بهما وأعطاهما عهد الله وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ولحق بالحجاز وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير ولاية ولا حِلّة ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانة(2) فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه .

ثم خرجتم على بني أمية ، فقتلوكُم وصلبوكُم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان حتى قُتل يحمى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم وأسروا الصبية والنساء ، وحملوهم بلا وطء في المحامل كالسبي المجلوب إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنَيْنا سَلفكم ، وفضّلناه فاتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا إنما ذكرنا أباك للتقدمة مناله على حمزة، والعباس ، وجعفر وليس ذلك كما ظننت ، ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين متسلماً منهم مجتمعاً عليهم بالفضل ، وابتلى أبوكُ بالقتال والحرب ،

(2) : هو عبيدالله بن زياد .

وكانت بنو أمية تلعنه كما تلعن الكفرة في الصلاة المكتوبة فاحتججنا وذكرناهم فضله وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه ، فلقد علمت لم ن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحاج الأعظم وولاية زمزمَ فصارت للعباس من بين إخوته ، فنازعنا فيها أبوك فقضى لنا عليه عمر، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام . ولقد خط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بابينا حتى يغيثهم الله ، فسقاهم الغيث وأبوك حاضر لم يتوسل به، ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره ، فكانت وراثة من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينله إلا ولده فالسقاية سقايته وميراث النبي له والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام في الدنيا والآخرة إلّا والعباس وارثه ومورثه .

وأما ما ذكرت من بدرٍ فإن الإسلام جاء ، والعباس يمون أبا طالب وعياله وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ، ولولا أن العباس أخرج إلى، بدر كارهاً لمات طالب وعقيل جوعاً ، وللحسا أجفان عتبة وشيبة ، ولكنه كأن من المطعمَين ، فاذهب عنكم العار والسبة وكفأكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيلًا يوم بدر ، فكيف تفخر علينا وقد علْناكم في الكفر ، وفديناكم وجزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا منه ما عجزتم عنه ولم تدركوا لأنفسكم ؟ والسلام عليكم ورحمة اللّه .

وكان محمد قد استعمل محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب على مكة ، والقاسم لن إسحاق على اليمن ، وموسى بن عبدالله على الشام ، فأما محمد بن الحسن ، والقاسم فسار إلى مكة فخرج إليهما السري بن عبدالله عامل المنصور على مكة ، فلقيهما ببطن م ذاخر فهزماه ،ودخل محمد مكة وأقام بها يسيراً فأتاه كتاب محمد بن عبدالله يأمره بالمسير إليه فيمن معه ويخبره بمسير عيسى بن موسى إليه ليحاربه ، فسار إليه من مكة هو والقاسم فبلغه بنواحي قديد ، قتل محمد فهرب هو وأصحابه وتفرقوا ، فلحق محمد بن الحسن بإبراهيم ، فاقام عنده حتى قتل إبراهيم ،واختفى القاسم بالمدينة حتى أخذت له ابنة عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر امرأة عيسى الأمان له ولإخوته معاوَية وغيره ، وأما موسى بن عبدالله فسار نحو الشام ومعه رزام مولى محمد بن خالد القسري فأنسل منه رزام تيماً وسار إلى المنصور برسالة من مولاه محمد

القسري ، فظهر محمد بن عبدالله على ذلك فحبس محمد القسري ، ووصل موسى إلى الشام فرأى منهم سو رد عليه وغلظة ، فكتب إلى

محمد : أخبرك أني لقيت الشام وأهله فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء وضقنا حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ولا لنا به حاجة ، ومنهم طائفة تحلف لئن أصبحنا من ليلتنا وأمسينا من غد ليرفعن أمرنا ، فكتبت إليك وقد غيبت وجهي وخفت على نفسي ، ثم رجع إلى المدينة .

وقيل : أتى البصرة وأرسل صاحباً له يشتري له طعاماً ، فاشتراه وجاء به على حمار أسود ، فأدخله الدار التي سكنها وخرج ، فلم يكن بأسرع من أن كبست الدار وأخذ موسى وابنه عبدالله وغلامه فأخذوا وحملوا إلى محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، فلما رأى موسى قال :لا قَرَّبَ الله قرابتكم ، ولا حيّا وجوهكم ، تركت البلاد كلها إلّا بلداً أنا فيه ، فإن وصلتُ أرحامكم أغضبتُ أمير المؤمنين ، وإن أطعته قطعتُ أرحامَكم ، ثم أرسلهم إلى المنصور فأمر ، فضرب موسى وابنه كل واحد خمسمائة سوطٍ فلم يتأوهوا ، فقال المنصور : أعذرتُ أهل الباطل في صبرهم ، فما بال هؤلاء ، فقال موسى : أهل الحق أولى بالصبر ، ثم أخرجهم وأمر بهم فسجنوا .خُبيب بن ثابت) بالخاء المعجمة المضمومة وبباءين موحدتين وبينهما ياء مثناة من تحتها.

ذكر مسير عيسى بن موسى إلى محمد بن عبداللّه وقتله

ثم إن المنصور أحضر ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وأمره بالمسير إلى المدينة لقتال محمد فقال : شاور عمومتك يا أمير المؤمنين ، ثم قال : فأين قول ابن هرثمة :

نزورُ امرءاً لا يمخضُ القومَ سِره ولا ينتَجِي الأدْنَيْنِ عما(l)يحاولُ

إذا ما أتن شيئاً مض كالذي أتى(2) وإن قالَ إني فاعلٌ فهو فاعلُ

فقال المنصور : امضِ أيها الرجل ، فوالله ما يُراد غيري وغيرك ، وما هو إلا أن تشخصَ أنت أو أشخصُ أنا ، فسار وسير معه الجنود ، وقال المنصور لما سار عيسى لا أبالي أيهما قتلَ صاحبَه ، وبعث معه محمد بن أي العباس السّفاح ، وكثيّر بن

(l) في الطبري : " فيما " .

(2) في الطبري : " أبى " .

حصينٍ العَبْدي ، وابن قحْطبة ، وهزارمرد ، وغيرهم ، وقال له حين ودّعه : يا عيسى إني أبعثك إلى ما بين هذين وأشار إلى جنبيه ، فإن ظفرتَ بالرجل فاغمد سيفَك ابذل الأمانَ وإن تغيب فضمّنهم إياه فإنّهم يعرفون مذاهبَه ، ومن لقيَك من آل أبي طالب فاكتب إلف باسمه ، ومن لم يلقَك فاقض ماله . وكان جعفر الصادق تغيّب عنه فقبض ماله ، فلما قدم المنصور المدينة قال له جعفر في معنى ماله ، فقال : قبضَه مهديكم ، فلما وصل عيسى إلى فيد(ا) كتب إلى الناس في خرق حرير ، منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومي ، وعبيدالله بن محمد بن صفوان الجمحي ، وكتب إلى عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب يأمره بالخروج من المدينة فيمن أطاعه ، فخرج هو وعمر بن محمد بن عمر ، وأبو عقيل محمد بن عبدالله بن محمد بن قيل ، وأبو عيسى ، ولما بلغ محمداً قرب عيسى من المدينة ، استشار أصحابه في الخروج من المدينة أو المقام بها ، فأشار بعضهم بالخروج عنها وأشار بعضهم بالمقام بها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيتني في درع حصيْنة فأولتها المدينة " : فأقام؛ ثم استشارهم في حض خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جابر بن أنس رئيس سليم : يا أمير المؤمنين نحن أخوالك وجيرانك وفينا السلاحُ والكراعُ فلا تخندقِ الخندقَ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خندقَ خندقه لما الله أعلم به وان خندقته لم يحسنِ القتال رجالة ولم توجه لنا الخيل بين الأرقةَ وان الذين تخندقَ دونهم هم الذين يحولُ الخندقُ دونهم ، فقال أحد بني شجاع : خندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتد به وتريد أنت أن يَدع أثرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك ، قال : انه والله يا ابن شجاع ما شيء أثقلَ عليك وعلى أصحابك من لقائهم وما شيء أحبَ إلينا من مناجزتهم ، فقال محمد : إنما اتبعنا في الخندق أثرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلا لِردني أحدٌ عنه فلست بتاركه ، وأمر به فحفر وبدأ هو ، فحفرَ بنفسه بر الخندقَ الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحزاب ، وسار عيسى حتى نزل الأعوصَ (2) ، وكان محمد قد جمع الناس وأخذ عليهم الميثاق وحصرهم فلا يخرجون وخطبهم محمد بن عبدالله فقال لهم : إن عدو الله وعدوَّكم مد نزل الأعوص ، وان أحقَ الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار ، ألا لانا قد جمعناكم وأخذنا عليِكم الميثاق ، وعدوكم عددٌ كثيرٌ ، والنصرُ من الله والأمر بيده ، وأنه قد بدالي أن آذن لكم ،

(ا) فيد : بالفتح ثم السكون : منزل بطريق مكة .
(2) الأعوص : موضع قرب المدينة.

فمن أحب منكم أن يقيمَ أقامَ ومن أحب أن يظعنَ ظعن ، فخرج عالم كثير ، وخرج ناس من أهل المدينة بذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، وبقي محمد في شرذمةٍ يسيرةٍ فأمر أبا القلمس برد من قَدِرَ عليه فأعجزه كثير منهم فتركهم ، وكان المنصور قد أرسل ابن الأصم مع عيسى ينزله المنازل فلما قدموا أنزلوا على ميل من المدينة ،فقال ابن الأصم : إن الخيل لا عمل لها مع الرجالة ، وإني أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا عسكركم فتأخروا إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالجرف ، وهي على أربعة أميال من المدينة - وقال :لا يهرول الراجل أكثر من ميلين وثلاث حتى يأخذه الخيل : وأرسل عيسى خمسمائة رجل إلى بطحاء ابن أزهر على ستة . أميال من المدينة ، فأقاموا بها وقال : أخاف أن ينهزم محمدٌ فيأتي مكة فيرده هؤلاء فأقاموا بها حتى قتل ، وأرسل عيسى إلى محمد يخبره أن المنصور قد أمنه وأهله ، فأعاد الجواب يا هذا إنك لك برسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة قريبة ، واني أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والعمل بطاعته ، وأحذرك نقمته وعذابه ، وإني والله ما أنا منصرف عن هذا الأمر حتى ألقى الله عليه ، وإياك أن يقتلك من يدعوك الى الله فتكون شر قتيل ، أو تقتله فيكون أعظم لوزرك فلما بلغته الرسالة قال عيسى : ليس بيننا وبينه إلا القتال . وقال محمد للرسول : علام تقتلونني وإنما أنا رجل فرمن أن يُقتل ؟ قال : القوم يدعونك الى الأمان فانْ أبَيْتَ إلا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك طلحة ، والزبير على نكث بيعتهم وكيد ملكه ، فلما سمع المنصور قوله قال : ما سرني أنه قال "غير ذلك ، ونزل عيسى بالجرف لاثنتي عشرة من رمضان يوم السبت ، فأقام السبت والأحد وغدا يوم الاثنين ، فوقف على سلع فنظر الى المدينة ومن فيها فنادى : يا أهل المدينة إن الله حرمَ دماءَ بعضنا على بعض فهلمُّوا إلى الأمان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن خلوا بيننا وبين صاحبنا فاما لنا واما له فشتموه ؛ وانصرف من يومه وعاد من الغد وقد فرق القواد من سائر جهات المدينة ، وأخلى ناحية مسجد أبي الجراح وهو على بطحان فانه أخلى تلك الناحية لخروج من ينهزم ، وبرز محمد في أصحابه وكانت

رايته مع عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وكان شعاره أحد أحد ، فبرز أبو القلمس – وهو من أصحاب محمد ، فبرز إليه أخو أسد ، واقتتلوا طويلاً ، فقتله أبو القلمس وبرز إليه ،آخر فقتله ، فقال حين ضربه : خذها وأنا ابن الفاروق فقال رجل من أصحاب